



عندما تنقل قناة المنار اللبنانيّة التابعة لحزب الله والمعروفة بالتصاقها بالنظام السوري الآيل للسقوط خبراً مفاده "أن انتشار 17000 عنصر (إرهابي مسلح) في دمشق قد يجعل القوات المسلحة النظامية تنسحب تكتيكيًّا إلى الساحل" وذلك نقاً عن مصدر أمني سوري في التاسع عشر من تموز الحالي كما أوردته صحيفة الشرق الأوسط، فإنَّ هذا لا يمكن أن يكون خبراً عادياً يمكن تمريره كغيره من الأخبار، بل هو ربما من أهم وأخطر التسريبات منذ انطلاق الثورة السورية...

ورغم أنَّ مثل هذا الخبر قد يبعث على التفاؤل لثوار سوريا لأنَّ ذلك يعني نية فلول النظام السوري الانسحاب من دمشق وبالتالي سقوط النظام بشكل كامل، إلا أنَّ دلالات هذا الخبر، وما يحتويه من إشارات طائفية خطيرة يجعل من الواجب تناوله بجدية والبحث عما يعنيه في المرحلة القادمة من الصراع في سوريا..

فمما لا شك فيه أنَّ الكلمة الآن في سوريا هي للثوار، وأنَّ النظام يمر بأسوأ مراحل صراعه، بعد أن فقد أكبر رؤوسه الأمنية في الثامن عشر من تموز الحالي، وذلك بعد يومين فقط من بدء معارك دمشق التي كانت بأمس الحاجة لشخصيات كالتي فقدتها النظام في هذه الظروف الدقيقة، حيث كان مقتلهم ضربة قاضية لمعنويات مقاتليه مما سهل على الثوار التقدم في كل ساحات القتال من شمال البلاد إلى جنوبها ومن شرقها حتى غربها فضلاً عن تقدمهم في معركتهم الحاسمة في دمشق، فعلى سبيل المثال فإن معارك السيطرة على معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا المستمرة منذ أكثر من 10 أيام حسمت بعد خبر مقتل القادة الأمنيين في دمشق حيث انهارت معنويات الجيش النظامي هناك مما سهل على الثوار السيطرة عليه وعلى كل المنافذ الحدودية مع العراق بوقت قياسي قصير...

هذا الانهيار المفاجئ لمعنويات القادة العسكريين والسياسيين للنظام السوري قد يسرع سيناريو هروب هؤلاء القادة إلى جبال الساحل السوري ذات الأغلبية العلوية، وربما الإعلان عن دولة علوية جديدة كتلك التي أنشأها الاحتلال الفرنسي عام 1920، وهو السيناريو الذي كان مطروحاً منذ بداية الثورة السورية إلا أنه لم يكن له ما يدعمه من تصريحات أو مواقف لأركان النظام السوري الذي كان يحاول مراراً وتكراراً نفي البعد الطائفي لحكمه رغم أنَّ أفعاله تقول خلاف ذلك.

ما نقلته قناة المنار عن مصدر أمني سوري لا يمكن فهمه على أنَّه مجرد تسريبات خاصة حصلت عليها القناة، بل هو على ما يبدو بداية المخطط الأخير لفلول النظام السوري للهرب إلى الساحل السوري وهو أيضاً تمهد لمؤيدي النظام من أبناء

طائفته والمستفيدون منه للخبر القادم بعد أيام أو ربما أسابيع على أكثر تقدير يفيد بسقوط دمشق بيد الثوار والسيطرة على كل أركان الدولة السورية...

والحقيقة أنَّ النظام كان يعد لمثل هذا اليوم منذ فترة ليست بالقصيرة، وذلك من خلال تركيزه بالنصف على مدن ساحلية كالحفة وغيرها، وعلى مناطق في حمص، وذلك لتهجير أهالي تلك المناطق تمهدًا منه على ما يبدو لبناء دولته، لكن على مساحة جغرافية أكبر من تلك التي منحها الفرنسيون لهم في عشرينيات القرن الماضي، إلا أنَّ ضربات الثوار الموجعة والمبالغة بعثرت أوراق النظام وأفشلت جزءاً من مخططاته...

إلا أنَّ خطر إقامة مثل تلك الدولة ما زال قائماً ويشكل خطورة كبيرة على مستقبل سوريا فيما لو تهاون الثوار في مثل هذا الطرح، واكتفوا بانتصارتهم في دمشق وغيرها ولم يكملوا طريقهم إلى كل شبر في سوريا بما فيها مناطق الساحل، فرغم أنَّ دولة علوية صغيرة في محيط سني واسع يصعب التفكير باستمرارها، إلا أنَّ وجود داعم قوي كإيران وإسرائيل قد يمدها بكل سبل الحياة والاستمرار رغم ضعف إمكانات وموارد دولة كهذه...

فإيران التي باتت تعلم أكثر من أي وقت مضى أنَّ حليفها في دمشق إلى الانهيار لا بد لها من خطة جديدة لتبقي لنفسها موطن قدم في سوريا الحديثة التي يعني استقرارها بيد الوطنيين من أبنائها ضربة لمشروعها التوسيعى الذي بذلت من أجله مليارات الدولارات على مدى عشرات السنين، وقد ظلت أنها على بعد خطوات من تحقيق حلمها التوسيعى بعد سيطرتها على العراق ولبنان، وقدرتها على تحريك عملائها في الخليج واليمن...

إنَّ خطورة إنشاء دولة علوية على الساحل السوري لتكون خاصرة رخوة للدولة السورية المستقبلية لا يقل عن خطورة إنشاء دولة الصهاينة عام 1948 التي باتت خاصرة رخوة لكل العرب والمسلمين، فرغم أنَّ أبناء الشعب السوري هم أبعد ما يكونون عن الطائفية والعنصرية وكان ذلك واضحاً في مظاهراتهم اليومية، إلا أنَّ قدرة قادة النظام السوري على الشحن الطائفي لطائفتهم قد يجعلهم ينجحون بإقناع العلوين بضرورة الانفصال عن سوريا، بتخويفهم على مصيرهم في ظل سعود وطنين لسدة الحكم في سوريا...

وعليه فإنَّ من الواجب على المعارضة السورية بجناحها العسكري المتمثل بالجيش الحر والسياسي المتمثل بالمجلس الوطني، أخذ هذا السيناريو على محمل الجد، والبدء مباشرة بوضع خطط واقعية لإفشال هذا المخطط، فعلى المجلس الوطني العمل على تحديد أبناء الطائفة العلوية من خلال تأكيده في وسائل الإعلام على أنَّ القصاص سيكون فقط من المجرمين من أبناء هذه الطائفة تماماً كما سيكون القصاص من المجرمين السنة وال المسيحيين وغيرهم من المجرمين الذين تلطخت أيديهم بدماء السوريين، ولن يكون العقاب جماعياً لكل أبناء الطائفة، كما يجب على الجيش الحر إعداد خططه العسكرية الآن وليس بعد سقوط دمشق لفرض سيطرته على كل التراب السوري... فالعمل بعد عودة دمشق ليد أبنائها سيكون أكثر مشقة من العمل قبله، فالتحديات كبيرة، وعيون العالم متوجهة على سوريا، والمؤامرات تحيط بهذا البلد من كل حدب وصوب، وكلُّ يبحث له عن حصة من هذه الكعكة، ولكن وعي الشعب السوري وإصراره على بناء دولته الحديثة سيسقط كل هذه الرهانات وكل تلك المؤامرات...

المصادر: